مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العدد: 3 (2022)، ص: 910-935

المُؤسسات والمراكز العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرن 5هـ/11م.

Institutions and scientific centers in the Islamic Maghreb and Andalusia during the 5th century AH/11 AD.

خنوف شعيب[1]

[1]قسم العلوم الإنسانية ،المركز الجامعي الشهيد سي الحواس –بريكة – الجزائر، choayb.khenouf@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/24 تاريخ القبول: 2022/09/08 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

يتناول موضوع الدراسة موضوعًا بالغ الأهمية، ألا وهو قضية المؤسسات التعليمية، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الوسيط، والتي اشتهرت أيضًا بانتعاش كبير خلال الأربعة قرون الأولى. (2-5 هجرية/8-11م)، حيث تجلت مظاهرها في إنشاء العديد من المؤسسات والمراكز العلمية في جميع أنحاء مدن المغرب الإسلامي والأندلس على وجه الخصوص ، ومن بين هذه المؤسسات نجد المساجد والمكتبات على اختلاف أنواعها. والتي كانت بتنوعها مراكز للإشعاع العلمي والثقافي ساهمت بشكل كبير في تنشيط الحركة العلمية وظهور علماء متميزين خدموا العلم والمعرفة. الأمر الذي جعل بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس قبلة للشباب الذين يهدفون إلى اكتساب المزيد من المعرفة والعلوم في شتى التخصصات خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

الكلمات المفتاحية: المراكز العلمية ،المغرب الإسلامي ،الأندلس ،القرن 5هـ

Abstract: The subject of the study deals with a very important topic, which is the issue of educational institutions, which is

closely related to the intellectual movement in the Islamic Maghreb and Andalusia during the Middle Ages, which was also famous for its great recovery during the first four centuries. (2-5 AH/8-11 AD), which was represented in the establishment of institutions and scientific centers in all cities of the Islamic Maghreb and Andalusia, and among these institutions we find mosques and libraries of all kinds. Which were centers of science and culture. It also contributed significantly to the revitalization of the scientific movement and the emergence of scholars who served science and knowledge in the Islamic Maghreb and Andalusia during the 5th century AH/11 AD
Keywords: Scientific Centers, Islamic Maghreb, Andalusia, 5th century AH**.**

المؤلف المرسل: شعيب خنوف

1. مقدمة

عرفت الحياة الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ازدهارا وانتعاشا كبيرين ،وذلك من خلال ما ألفه علمائها وفقهائها من كتب في مختلف العلوم إلى جانب تعدد المراكز الثقافية والعلمية وانتشارها في الحواضر والبوادي.

فكان التعليم يمارس في المنازل، والكتاتيب، و المساجد، والمكتبات وقد أسس الخلفاء الأمويون هذه الأماكن التعليمية في كثير من المدن الأندلسية حرصا منهم على نشر العلم وتثقيف المجتمع. كما فتحوا الطريق لكل من أراد ولوج هذه المعاهد والجلوس إلى علمائها البارزين في التربية والتعليم ونتيجة لهذا الفتح ظهرت خلال هذه الفترة الكثير من المؤسسات التعليمية وكان في مقدمتها الكتاب والمساجد التي تعتبر من المراكز التعليمية الأولى ثم تليها والمكتبات ثم المدارس التي ظهرت بعد ذلك -أي خلال القرن 6هـ/12م-وتحديدا خلال العصر الموحدي.

لقد قدمت لنا كتب التراجم والطبقات معلومات هامة حول المؤسسات العلمية التي كانت مصدر إشعاع ونشر للعلوم الإسلامية وتأطير سكان المغرب الإسلامي والأندلس وفق ما يدور فيها من دراسات ونقاشات، وقد كانت هذه المراكز تتشابه مع ما يوجد في المشرق الإسلامي وذلك تبعا لطبيعة العلاقة التي تربط بلاد المغرب بالمشرق الإسلامي ورغبة أهل المغرب في محاكاة ما يجري في المشرق في عدة مجالات لاسيما الثقافية منها، وهذا ما نلمسه في قول الخليفة المستنصر بالله "إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن مروان أتيناهم بخالد بن سعد"(ياقوت الحموي،1977، ج4، ص: 325)، كما أن هذه المؤسسات الثقافية تدعمت بتطور الحياة العمرانية والاجتماعية بالغرب الإسلامي ، إذ برزت حواضر كبرى كالقيروان وفاس وقرطبة واشبيلية وغيرها.

وبناءا على ماتقدم ،يحق لنا أن نتساءل :ماهي أهم هذه المراكز والمؤسسات التعلمية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس؟.

2/أهم المؤسسات والمراكز التعليمية ببلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4ه/10م:

لقد ساهمت العديد من المُؤسسات والمراكز العلمية في نشر العلوم والمعرفة ببلاد الغرب الإسلامي ،الأمر الذي جعلها محل استقطاب الكثير من العُلماء من بلاد المشرق الإسلامي ،وهو ما جعل المُؤرخ المقري التلمساني يُفرد في كتابه "نفح الطيب "، بابا بعنوان "باب الوافدين على الأندلس من أهل المشرق "،ثم قال ما مفاده :" ...إعلم أن الداخلين إلى الأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصر الأعيان منهم ،فضلا عن غيرهم ،ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا ،إلى أن وافَتْه مَنِيَتُهُ ،ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قُضِيتْ بالأندلس مُنيتُه "(المقري التلمساني ،د.ن ،ج1،ص:07).

وعليه يمكن القول أن أهم هذه المُؤسسات والمراكز العلمية التي ساهمت في النهضة العلمية بالعُدوتين المغربية والأندلسية على حد سواء ،يمكن حصرها في الآتي :

أولا: الكتاتيب:

الكُتاب هو المرحلة الأولى من التعلم، ورد ذكره مرات عديدة في كتاب رياض النفوس للمالكي، وهو المكان الذي يرتاده الأطفال ويشرف عليهم معلم أو مؤدب، ويكون عادة حافظا للقرآن وقواعد قراءته مع معرفته باللغة العربية وآدابها(المالكي ،1994م،ج1،ص:91).

وهذه المؤسسة هي عبارة عن قاعات واسعة يعلم فيها مجموعة من الأساتذة الأطفال الصغار القراءة، والكتابة على ألواح مختلفة يكتب التلاميذ فيها جزءا من القرآن كل يوم.

وقد أشار المؤرخ المالكي إلى وجود هذا النوع من المؤسسات التعليمية منذ العهد الأول من الحضور الإسلامي بالمنطقة ،نقلا عن أبي الحسن الدارقطني بإسناد يتصل بغياث بن أبي شبيب فقال :"كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله يمُر بنا ونحن غلمة بالقيروان ،فيسلم علينا ونحن في الكُتَّاب ،وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه "(المالكي ،1994م،ج1،ص:91)..

وتواصل وجود المؤدبين في كل العهود وفي كل الأماكن من بلاد المغرب الإسلامي، وهو ما يشير إليه أيضا المالكي صاحب رياض النفوس في ترجمة أسد بن الفرات (ت213هـ/827م) وهو يتحدث عن نفسه فيقول "لما بلغت ثماني عشرة سنة علمت القرآن ببجردة "(المالكي ،1994م،ج1،ص:254-255).' أي في شمال إفريقية" وهو ما يدل على وجود الكتاتيب في إفريقية .ونظرا لإهتمام أهل المغرب الإسلامي بالتعليم والمعلمين وضع الإمام سحنون (ت 256هـ/870م)تأليفا في شأن الكُتاب و المعلمين والتلاميذ وأنواع العلوم المدروسة في هذه المرحلة وهو

معروف ومطبوع بعنوان "آداب المُعلمين "وقد قام أبو الحسن القابسي (ت 403ه/1012م)باتباع نفس الطريقة في الإعتناء بشؤون الكتاتيب فألف كتابا في نفس هذا الموضوع .

والملاحظ على هؤلاء المؤدبين أنهم كانوا لا يقتصرون على تعليم التلاميذ بالكُتاب ،بل يذهبون إلى دُور الأغنياء والأمراء لتلقين أبنائهم المبادئ الأولى للتعليم الديني ولا سيما القرآن ،فقد نقل لنا المالكي أيضا قول أبي الربيع سليمان بن محمد في شأن إبراهيم القصري المؤدب(ت334ه/945م) " كنت أدخل إليه – إبراهيم القصري _وهو يُعلم الصبيان في القصر"(رويس منير :1988،ص:123-124)، وهذا القصر هو دار مُلك بني الأغلب قبل إنتقالهم إلى رقادة سنة 264ه/878م.

وكانت هذه الكتاتيب معروفة بالمغرب الإسلامي والأندلس في القرن الرابع للهجرة إلى غاية الموحدين الذين بقيامهم زادت أهميتها –الكتاتيب – وأول ما قاموا به –الموحدين – إنشاء الدور والمساجد والكتاب وهذا ما قام به عبد المؤمن بن علي أثناء لافته(524ه/558ه)حيت عمل على نشر مبادئ الموحدين وأول ما فعله تعميم التعليم بالكتاتيب التي تعتبر من المعاهد العامة بالمغرب كما فرض على شعبه إجبارية ومجانية التعليم في المغرب الإسلامي، وهي نفس السياسة التي انتهجها الخليفة الأموي الحكم المستنصر أثناء خلافته أيضا (350-366ه)

كما أصبح بإمكان المؤدب علاوة على تعليمه القرآن يدرس علوما أخرى وهذه العلوم ذكرها ابن سحنون في كتابه فقال :"وينبغي أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم إلا أن يشترط ذلك عليه وكذلك الشعر والغريب والعربية والخط وجميع النحو وهو في ذلك متطوع وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيت والترتيل يلزمه ذلك ولابأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فُحش من كلام العرب وأخبارها

وليس ذلك بواجب عليه "(سحنون،1981،ص:87)، وهو ما يدل على وجوب إلمام المعلم بعلوم أخرى بالإضافة إلى القرآن الكريم .

وبذلك يكتسب التلميذ ثقافة أولية تمكنه من مواصلة تلقي العلوم بعد أن حفظ أصل الدين الإسلامي وهو القرآن وطريقة قراءته وفهمه بواسطة اللغة العربية وآدابها .

كما خصص الإمام ابن سحنون فصلا كاملا سماه "ما جاء في إجارة المعلم ومتى يجب""(سحنون ،1981،ص:82).

وكانت هذه هي أهم العلوم التي كان يتلقاها الصبيان في الكتاتيب بالمغرب الإسلامي وهذا ما أكده المؤرخ والحافظ أ بو بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1145 م)

من خلال ذكره للمنهاج التعليمي الواجب إتباعه في التعليم فيقول –ابن العربي – بأنه :" من الواجب على الولي في الصبي المسلم ،أبًاكان أو وصيا ،أو حاضنا ،أو الإمام ،إذا عقل أن يُلقنه الإيمان ،ويعلمه الكتابة ،والحساب ،ويحفظه أشعار العرب العاربة ،ويُعرفه العوامل في الإعراب ،وشيئا في التصريف ،ثم يحفظه إذا استقل واشتد في العشر الثاني كتاب الله ،وهو أمر وسط بيننا وبين أهل المشرق ،ثم يحفظه أصول سنن الرسول ،وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب ،تضمنها البُخاري ومسلم ،هي عماد الدين ،ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القران ومعاني كلماته ،ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير ،وما الصحيح من حديث النبي إلا كنقطة في بحر وليحذر كتب الصالحين ،ومن ينتمي إلى الوعظ ،....ولا يُفرط في علوم الفرائض فإنها أصل الدين ،وهو أول ما يذهب إليه من المسلمين ،فالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها ،ولا يخلي نفسه عن الأنساب ،ولا عن شيء من أصول الطب ،ويتخذ عبارة الرؤيا أصلا ،ولا يقل متى أحصل هذا ؟فإنه ليس المطلوب منها الغاية ،فإنها لا تنالها إلا الأفراد ،وإنما ينبغي لكل عاقل

أن يتفحص بجزء جزء منها ،ولا يفرد نفسه ببعض العلوم "(ابن العربي ،1984،ص:370- 371.

أما فيما يخص الأوقات التي يتم فيها تلقين الدروس في الكتاتيب كانت بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى.

كما كان للصراع المذهبي خلال القرن الرابع الهجري تأثيرا كبيرا على توجه حركة التعليم ،ويرجعه الباحث إسماعيل السامعي إلى سببين :الأول إيجابي ويتمثل في محاولة رجال كل مذهب استقطاب عدد من الطلاب وهو ما يساهم في نتشار التعليم أكثر ،والثاني سلبي وذلك بجعل الصراع في مجال التعليم في المستويات العليا من اصول المذهب مما يقلل من المساحة الفكرية(سامعي اسماعيل ،2012،ص:61وما بعدها).

وأما عن طريقة التدريس، فيعتبر المدرس أو الأستاذ محور العملية التعليمية في النظام التعليمي فهو المنبع الذي ينهل منه التلاميذ معارفهم، كما أنه يعد الموجه والمرشد الذي يهتدى به الطلبة في مسارهم التعليمي.

وكانت تتم طريقة التعليم بالكتاتيب بجلوس المعلم في حلقة بالكتاب على الكرسي أو فوق مقعد حتى يراه جميع التلاميذ وحوله يجلسون هم على الحصر التي تفرش على الأرض.(محمد الشريف سيدي موسى،2011 ، ص:58، وكانت الأبواب مفتوحة والحضور مقبول للجميع. وبعد ذلك يبدأ المعلم عادة مفتتح درسه بمقدمة دينية تبدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول صلى الله عليه وسلم يمهد للموضوع الذي سيقدمه فيشرع في قراءة كتاب معين ويساعده أحيانا تلميذ من تلاميذه في قراءته والأخرون يستمعون وبعدها يقوم المدرس بشرح النص وعند الانتهاء يسأل كل واحد منهم سؤال ليعرف استيعابهم وإذا لم يجد الإجابة يعيد الشرح مرة أخرى.

كما كان الآباء لا يختارون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته في الوسط الذي يعيش فيه إلى درجة أنهم كانوا لا يولون الأعزب تعليم أطفالهم(شبشوب احمد،1996،ص:9)، ويشترط في معلم القرآن أن يكون على درجة عالية، ومعرفة تامة بقراءة وتلاوة القرآن وكان المعلم يتقاضى أجرا خاصا يعرف بالحذقة وهو ما حدده الفقيه المغراوي بقوله " أن الصغير إذا انتهى إلى حد الكتب في اللوح بالقلم وأحسن الكتب فلمعلم الحذقة ثمانية دراهم (ابن حزم:1984، ص:144).

كما قدم ابن حزم (ت 456هـ/1070 م)منهاجا تربويا في رسالة مراتب العلوم، ولكنه لا يعدوا من كونه "نظريا، إذ أنه لم يمر من حيز التصور الذهني إلى حيز التطبيق ،لأنه –ابن حزم –لم يمارس صناعة التعليم إلا عند رجوعه إلى بادية لبلة ولم يداوم على ذلك (شبشوب :1996،ص:11).

ختاما لما سبق ، يمكن القول بأن التعليم بالكتاتيب هو التعليم الذي أكد على مدى مُساهمة العُلماء والمعلمين في نشر العلم والتكفل به باعتباره واجبا دينيا وأنه يعد من أهم مراحل التعليم الهامة التي تأهل الطفل أو التلميذ أو الطالب للالتحاق بمؤسسات التعليم الأخرى كزوايا ومدارس وغيرها وهذه المؤسسة ساعدت على إقامة علاقات بين العلماء والطلبة من خلال طلب العلم ونشره ،وهو ما يعكس دور الكتاتيب في تكوين طلبة العلم ودعم الحياة الثقافية ببلاد الغرب الإسلامي .

ثانيا: المكتبات

يعتبر نشاط المكتبة مظهرا من مظاهر الفعل الثقافي حيث أنها احتلت مكانة كبيرة لدى المسلمين. ونتيجة لذلك فقد أدرك المسلمون منذ وقت مبكر حاجاتهم إلى خزائن الكتب كوسيلة لنشر العلم والمعرفة بالإسلام فبادروا بإنشائها وتعميرها بكميات وافرة من الكتب كأماكن تتيسر فيها سبل البحث والتدريس والتعليم

ودراسة مختلف العلوم وحيث كان نشر العلم وتعميمه من أبرز الخصائص التي اشتهرت بها بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

ويعود سبب إنشاء مثل هذا النوع من المراكز الثقافية لتسهل على الطالب إيجاد المعلومات التي تلزمه لكتابة بحثة أو مشروعه بحيث يمكنه الإطلاع عليها والبحت فيها، مما أصبحت نتيجة ذلك مرجعا للطلبة والعلماء ولعناية الأمويين بالخصوص بالغرب الإسلامي بهذه المؤسسات امتلأت خزائنها بالكتب مع ازدياد نشاط حرفة الوراقة، وهذه الحركة أصبحت تعد من أهم الموارد التي ساهمت في تقديم ركيزة قوية للحركة الفكرية في الغرب الإسلامي.

وكانت هذه المكتبات والخزائن المتواجدة في قصور الخلفاء والأماكن العامة بمختلف العلوم العلمية التي كانت تصدر في جميع أنواع العلوم والفنون حتى بعد القرن الخامس الهجري ،وهذا ما أكده المؤرخ المراكشي بقوله:" فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، رأيته في خزانة بني عبد المؤمن المراكشي : 2006، ص :140) ، فالنص وإن كان يقصد الموحدين إلا أنه يدل دلالة صريحة على وجود الخزائن والمكتبات في بلاد الغرب الإسلامي.

وعندما أخذت الحركة العلمية في المغرب الإسلامي بالإزدهار والإنتشار وتزويدها بالكتب المختلفة زاد عددها فظهرت بها أنواع من المكتبات عملت على إمداد الطلبة بالمادة العلمية التي كانت تمارس في معظم الأوقات ومن بين هذه المكتبات التي برزت في الغرب الإسلامي قبيل القرن الخامس الهجري نجد:

-**مكتبات المساجد أو الجوامع:** اتسع نشاط هذا النوع من المكتبات خاصة وأن المسجد يُعد مؤسسة ثقافية دينية في نشر الدين والعلم ، لذلك فلا ننكر أنه لم يخلو أي مسجد من مساجد الغرب الإسلامي من مكتبة تحتوي على مجموعة من الكُتب يرجع إليها الدارسون والقُراء .

ولا تسعفنا المصادر التاريخية في معرفة أول مكتبة مسجدية أنشئت في الغرب، ولما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد، فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار، قاسميه يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم(ابن فرحون ،1996،ص:245-246).

وتشير المستشرقة الألمانية زيغريدهونكة إلى أنه كان يوجد في مدينة قرطبة لوحدها "عشرون مكتبة "(زيغريدهونكة ،1993،ص:499).

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة جمع الكتب واقتنائها لم تكن حكرا على الأمراء والخلفاء فقط ،وإنما شملت الفئات الأخرى من الشعب الأندلسي ،حتى أصبحت عملية إقتناء الكُتب علامة مميزة من علامات السُؤدد والرفعة ،لا يستغني الرجل منهم عن تأسيس مكتبة في بيته حتى وان لم يكن على قدر مناسب من المعرفة.(حامد الشافعي ،1998،ص:96).

ومما يدل على حب أهل قرطبة للكتب واهتمامهم بجمعها ما ذكره المقري على لسان "أبي يحي الحضرمي "الرحالة المشهور وجماع الكُتب الذي غشي سوق الكتب في قرطبة لشراء أحد الكُتب فيقول :"**أقمت مرة بقرطبة ولا زمتُ سوق كتبها مدة ،أترقب وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتسفير مليح ،ففرحت به أشد الفرح ،فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع الي المنادي بالزيادة علي ،إلى أن بلغ فوق حده ،فقلت له :يا هذا ،أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه مالا يساوي ،قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة ،فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه ،إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ،فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده، فقال لي :لست بفقيه ،ولا أدري ما فيه ،ولكني أقمت خزانة كُتب ،واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ،فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد، إستحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه**" (المقري :1968،ص:463).

توضح هذه القصة ماكان عليه سوق الكتب في قرطبة ببلاد الأندلس من رواج ،وأيضا جمع الكتب واقتنائها لم يكن بغرض العلم دوما بل يُقصد به الترف والجاه والتباهي أحيانا .

ونظرا لما شهدته هذه الحواضر من مكتبات وما توفرت عليه كتب قيمة في مختلف العلوم خاصة العقلية والنقلية والدراسات التي يتمتع بها العلماء والفقهاء فقد بلغ الإهتمام بها إلى حد نزع ملكية المكاتب من أصحابها وذلك خوفا من ضياعها والإحتفاظ بها في مكتبتهم من أجل حمايتها(حامد،1998،ص:100-101)،كما كان هؤلاء يفضلون مطالعة الكتب ويعتقدون أن الأُنس بها أقرب إلى القلب من الأنس بذوي السُلطان والجاه. كما وصل إهتمام الخلفاء بجمع الكتب على حرص العلماء على إهداء ما يؤلفونه لهم لإيداعه في خزائنهم حيث أنهم كانوا يتسابقون في هذا الإهداء بسبب علمهم بحب الخلفاء للعلم والسعي وراء كل ما هو جديد الذي يصدر في دروب المعرفة، وقد كانت هناك أيضا كتب ترد على شكل هدايا من الحكام الذين عاصروا الدولة الأموية بالأندلس ومثال على ذلك: إرسال الخليفة المستنصر إلى الآفاق من أجل البحث عن الكتب ونسخها وجلبها إلى الأندلس من أجل وضعها في خزانته العامرة، يقول صاعد الطليطلي :"...واستجلب – المستنصر بالله - من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة ،وجمع فيها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كان يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة "(صاعد،1985،ص:162)، وكذلك نجد الأصفهاني الأموي القُرشي الذي أرسل كتابه "الأغاني "للخليفة المستنصر بالأندلس قبل صدوره بالعراق ،فكافأه الحكم بإرساله ألف دينار عينا ذهبا "(ابن الابار ،1985،ص:202-203)،وألف له أيضا –الأصفهاني –كتابا في أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم فأحسن فيه وأجاد ،وخلد مآثرهم ،وأرسل

به إلى قرطبة ،وأرسل معه قصيدة حسنة من شعره ،فجدد له الحكم المستنصر على الكتاب الصلة الجزيلة "(ابن الابار ،1985،ص:202).

وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم.

ويضيف الأستاذ عبدالحليم عويس بأن مما ساعد على ازدهار الثقافة في قرطبة هو "الشعور بالشخصية الأندلسية الذي كان حادا جدا في مواجهة أوروبا النصرانية من جهة ومواجهة المشرق الذي وضع نفسه ووضعته مكانته الدينية والحضارية في مركز الصدارة من جهة أخرى ولا سيما وحساسية بني أمية تجاه المشرق العباسي لها ما يبررها "(عويس ،1988،ص:36)

ويرجع سبب تطور الحركة العلمية في الأندلس إلى رعاية خلفاء بني أمية بالعلم وتشجيع أهله وعلى رأسهم الخليفة المستنصر(ت 366هـ/ 977 م) ،الذي ساهم بنصيب وافر في رقي الحركة اللغوية وتطورها في الأندلس(أبو وائل صالح،1992،ص:110)،لذا فان حبه لشعبه ورغبته في رفع مستواهم العلمي، إضافة إلى رغبته الشديدة في منافسة حكام المشرق وتقليدهم عن طريق الإهتمام بالعلم وتكريم أهله ،كل ذلك دفع بالخليفة المستنصر الى القيام بجملة من الأعمال أدت إلى تطور الحركة العلمية في بلاده ،فمن أعماله :

. إقراره مبدأ إلزامية التعليم :وذلك بإقامته للكتاتيب حول مدينة قرطبة وفي ضواحيها ،وبالتالي تعهد الحكومة الأندلسية بالإنفاق على هذه الكتاتيب من قبيل دفع أجور المعلمين وإطعام المتعلمين ،مما يُرغب الآباء في دفع أبنائهم إلى طلب العلم (أبو وائل صالح،1992،ص:110).

. تشجيعه علماء الأندلس على التأليف :وذلك بتقديمه لهم يدالعون والمساعدة كتزويدهم بالمعلومات اللازمة ،وكذا تزويدهم بالكتب التي تخدم عملية البحث ،إضافة إلى إرشاده بعضهم إلى الكتب التي تفتقر إليها المكتبة الأندلسية(أبو وائل صالح،1992،ص:110).

. إحترامه للعلماء :فقد قدرهم حق قدرهم وقربهم منه متخذا من هؤلاء الوزير والصديق والنديم ،وقد قابل علماء الأندلس والمغرب وحتى المشرق إحترام الحكم باحترام زائد ،فنسخوا الكتب باسمه وأهدوها اليه ،وسعوا إلى طلب رضاه من خلال إخلاصهم في عملهم (أبو وائل صالح،1992،ص:110).

ومع كل هذا كان كثير التهمم بالكتب والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ،وقلما تجد في خزانته كتابا إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن من فنون العلم ،كما أشار إلى ذلك ابن الآبار القضاعي (ت 658ه/1260م) بقوله :"وكان موثوقا به مأمونا عليه ،صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ،ينقلونه من خطه ،ويحاضرون به ،وكان قد قيد كثيرا من أنساب أهل بلده ،وكلف أهل كور الأندلس أن يلحقوا كل عربي أخمل ذكره قبل ولايته ،وأن يُصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك ،ويؤلف من الكُتب ،ويرد كل ذي نسب إلى نسبه ،وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد ،ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد ""(ابن الابار ،1985،ص:202).

كما كان له - المستنصر بالله - وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجالا يوجههم إلى الآفاق بحثا عنها ،ومن وراقيه في بغداد محمد بن طرخان ،ومن أهل المشرق والأندلس جماعة .

و بعث الخليفة الحكم المستنصر إلى أبي الفرج الأصبهاني القُرشي المرواني من ولد مروان بن محمد ، ألف دينار عينا ذهبا ،وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الأغاني ،فأرسل إليه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ،أو ينسخه أحدهم"(ابن الابار ،1985،ص:202)

كما اختار الخليفة المستنصر بالله مجموعة من العلماء لوضع مناهج للمؤدبين تتناسب وسياسة الدولة وإدراك الطالب، وفي هذا يقول ابن عذاري المراكشي (ت 702ه/م):"ومن مستحسنات أفعاله وطيب أعماله اتخاذه المؤدبين

يُعلمون أولاد الضُعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع ،وبكل ربض من أرباض قرطبة ،وأجرى عليهم المُرتبات ،وعهد إليهم في الإجتهاد والنُصح ""(ابن عذاري ،1980،ص:240).

وقد بلغ عدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا منها حوالي المسجد الجامع بقرطبة ثلاثة ،والباقي موزعة في كل ربض من ارباض المدينة وفي هذا يقول احد الشعراء :

وساحةُ المسجدَ الأعلى مُكللة ٍ مَكاتبا لليتامى من نواحيها

لو مُكنت سورُ القرآن من كلم نادتك يا خير تاليها وواعيه(ابن عذاري ،1980،ص:240).

ووجد بخط المستنصر بالله "ابتدئ بُنيان الجامع (صانهُ الله)يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة 351،وكمُل سنة 355 للهجرة "(ابن عذاري ،1980،ص:241).

كما أحبس الخليفة الحكم المستنصر على الجامع بقرطبة ،بعد إتمام زيادته ،وأحضر الفُقهاء والعُدول الشهداء وأعيان الناس ،ووجوههم وقضاتهم وأئمتهم ،فحمد الله ،وأثنى عليه وجدد شكره على توفيقه ،لإجراء هذه البنية الكريمة على يديه ،وأنه تلقى هذه النعمة العظيمة بأن حبس رُبع جميع ما جرته إليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كُور الأندلس وأقاليمها على ثُغور الأندلس كافة تفرق عليهم غلات هذه الضياع عاما بعد عام على ضعفائهم وجعل القبض والنظر في هذا الحبس إلى صاحبه وسيف دولته جعفر ،وجعل دفع ذلك إلى وزيره وكاتبه عيسى بن فطيس "(ابن عذاري ،1980،ص:234)

وافتتح خلافته - المُستنصر بالله - بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة ،وهو أول عهد أنفذه ،وقلد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن

عبدالرحمن الصقلبي ،فكان أول ما عهد إليه تقديم النظر في سوق الصخور التي هي أُس البنيان""(ابن حزم ،1980،ص:200)

يقول المؤرخ ابن حزم الظاهري (ت 456ه/ 1065م)في كتابه الجمهرة بشأن المستنصر فيقول: "..واتصلت ولايته -المستنصر بالله -خمسة عشر عاما في هدوء وعلو ،وكان محبا في العلم ،ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم ، وأخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس ،أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكُتب أربع وأربعون فهرسة ،في كل فهرسة خمسون ورقة ،ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط "(ابن حزم ،1980،ص:204)

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنه كان للمستنصر بالله الأموي (ت 366ه/ 971 م) وراقون موزعون في أقطار الأندلس ينسخون له غرائب التواليف ،ورجال يوجههم إلى الآفاق (البلدان)بحثا عنها ،فممن كانت له مساهمة في مهنة الوراقة لصالح الحكم المستنصر ببغداد محمد بن طرخان ،ومن أهل المشرق والأندلس كثيرون ،وكان مع ذلك (المستنصر)كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ،يقول ابن الآبار:"وقلما تجد له (المستنصر)كتابا في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم ،يقرؤ هو يكتب فيه بخطه ،إما في أوله أو آخره ،أو في تضاعيفه نسب المؤلف، ومولده ووفاته والتعريف به ،ويذكر أنساب الرواة له،ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده .لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن وكان موثوقا مأمونا عليه "(ابن الابار ،1986،ص:204) ،وهو ما جعله حجة عند شيوخ وأئمة الغرب الإسلامي، ينقلون العلم من خطه ويحاضرون به.(عبدالواحد شعيب ،2014،ص:133).

وهذا ما يجعله -أي الحكم المستنصر- في عداد العلماء ،ويؤكد ذلك ما قاله ابن الخطيب في ترجمته للحكم :"وكان ـ رحمه الله ـ عالما فقيها بالمذاهب

،إماما في معرفة الأنساب ،حافظا للتاريخ ،جماعا للكتب ،مميزا للرجال من كل عالم وجيل ،وفي كل عصر وأوان ،تجرد لذلك وتهمم به ،فكان فيه حجة وقُدوة وأصلا يُوقف عنده "(ابن الخطيب ،1965،ص:41).

و يقول المؤرخ ابن خلدون (ت 808هـ/1406م):"وكان - المستنصر بالله- محبا للعلوم مكرما لأهلها جماعة للكتب في أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله، فأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر ووفد عليه أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي من بغداد فأكرم مثواه وحسنت منزلته عنده ،واورث أهل الأندلس علمه ،واختص بالحكم المستنصر واستفاد من علمه ،وكان يبعث (المستنصر)في الكُتب إلى الأقطار رجالا من التُجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس مالم يعهدوه وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني وكان نسبه في بني أمية ،وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين ،فبعث إليه بنسخة منه ،قبل أن يخرجه بالعراق ،وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك ،وجمع بداره الحُذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد ""(ابن خلدون ،2000،ص:187).

كما كان الحُكام ببلاد الغرب الإسلامي ،وخصوصا بالأندلس مستنيرين ،يقدرون قيمة العلم ويعرفون قدر المشتغلين به، وكانوا على حظ وافر من الثقافة والعلم ينظمون الشعر ويشتركون مع الكتاب والشعراء وعلماء اللغة في مجالس يجرى فيها نوع من المساجلات الأدبية والمناظرات العلمية ،"فقد جمع الأمراء والأغنياء رجالا حولهم ،وأصبح شائعا أن يعقد أحد الأمراء مرة في الأسبوع أو أكثر ،مجلسا يجمع فيه ممثلي الحياة الفكرية ،ويناقشوا بالإشتراك مع مضيفهم الأمير تلك الموضوعات التي تهمهم " "(حامد الشافعي ،1998،ص:133).

وأما عن جانب تمويل المكتبة فكان يقوم على مصدرين: المصدر الأول يتمثل في الأحباس أي الأوقاف، التي تعمل على صرف مرتبات العاملين، أما المصدر الثاني يتمثل في الهبات والإعانات حيث نجد أن أهل الخير كانوا يتبرعون بأموالهم وذلك عونا لهذه المكتبات(حامد الشافعي ،1998،ص:124).

وكانت هذه المكتبات مفتوحة للجميع وبفضل ما ضمته من كتب في مختلف العلوم والدراسات فقد ساهمت مساهمة فعالة في تثقيف المجتمع كما أنها كانت ميسرة لجميع الطلبة والاستفادة مما هو موجود بها وإعارتها إلى البيوت للاطلاع عليها أو أخد النسخ منها لتدوين كل ما يستحقه التلميذ أو الطالب من معلومات التي تخص كتابة موضوعه أوبحثه (بيدرسنيوهن ،1989،ص:61).

ومنه نخلص إلى أن المكتبات وما قدمته من كتب ساهمت في تنوير المجتمع كما عملت على إمداد الحركة العلمية التي مكنت الطلبة والعامة من الرجوع إليها

بإعتبارها مخزون ثقافي شمل أنواع العلوم مما جعلها - المكتبات -محل اهتمام الخُلفاء المسلمين اهتماما كبيرا، والتاريخ يشهد أن أعظم الخزائن في

الإسلام ثلاث خزائن: الأولى خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، والثانية خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، والثالثة خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس.)القلقشندي ، 1922م، ج1، ص: 466-467).

ثالثا: المساجد

يعتبر المسجد أول معهد للعلم مع بداية انتشار الإسلام، فلم تقتصر المساجد على العبادة فقط، بل كانت تؤدي فيها أعمال مختلفة كالقضاء ومعاهد للتدريس، كما كان الصبيان عند انصرافهم من الكتاتيب يلجؤون إلى المساجد الجامعة بهدف التزود أكثر من العلم.

وقد ورد ذكرها –المساجد - في القرآن الكريم، قال تعالى: "في بُيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسبح له فيها بالغُدو والآصال رجال لا تلهيهم

تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ..."التوبة ،الآية36-37)' وقال تعالى أيضا : "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"التوبة ،الآية 18، قال ابن كثير (ت774هـ/1348 م): "المساجد أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويُوحد"(ابن كثير،2009،ص:427).

ولقد حرص المسلمون على بناء المساجد عند اختطاطهم للمدن والأمصار الجديدة، باعتبارها مظهرا من مظاهر سيادة الدين الإسلامي، كما كانت المساجد والجوامع من أعظم معاهد العلم التي عنيت بدراسة الفقه والحديث وغيرها من العلوم، وكانت تستخدم لاجتماع العلماء(حسن ابراهيم حسن ،ص:426).

وفي المغرب الإسلامي والأندلس وجدت مساجد كثيرة، كان لها دور كبير في تكوين الطلبة في شتى العلوم من فقه وتفسير وعقيدة وحديث وعلوم أخرى.

وقد أحصيت وضبطت حوالي اثنين وستين 62 مسجدا موزعة في ربوع بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال فترة الدراسة وهي كالآتي: قرطبة، إشبيلية، صقلية، القيروان، فاس، تونس.

ففي مدينة اشبيلية يوجد بها جامع، بناه الخليفة عبد الرحمن بن الحكم ،قال عنه صاحب صفة جزيرة الأندلس: "وهو عجيب البنيان وجليله، وصومعته بديعة الصناعة، غريبة العمل، أركانها الأربعة عمود فوق عمود إلى أعلاها، في كل ركن ثلاثة أعمدة"(الحميري ،1988،ص:20).

ومسجد جامع إقليش الذي عد من العجائب، فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبرا، وهي منحوتة مستوية الأطراف(الحميري ،1988،ص:28).

ومسجد ألبيرة' كورة من كور الأندلس، نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية، وهذا المسجد بناه الإمام عبد الرحمن على تأسيس حنش الصنعاني(الحميري ،1988،ص:28).

ومسجد عبد الرحمن بن محمد ببطليوس'أنفذ إليه جملة من البناة، وبنيت صومعته بالحجر، كما أقام البناة مسجدا آخر داخل الحصن، بالإضافة إلى تشييد عدة مساجد بعده ببطليوس(الحميري ،1988،ص:20).

ومن مساجد الأندلس، نجد مسجد مدينة الزهراء التي بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، وهي مدينة عظيمة مقسمة إلى ثلاث أقسام، يقع جامعها في الحد الأسفل منها(الحميري ،1988،ص:20).

ومن مساجد الأندلس، نجد المسجد الجامع بسرقسطة، الذي بناه ووضع محرابه حنش بن عبد الله الصنعاني وعلي بن رباح اللخمي، وهما من جلة التابعين بالأندلس ، وقبراهما فيها-سرقسطة- معروفان بمقبرة باب القبلة(الحميري ،1988،ص:20).

بالإضافة إلى جامع في شوذر وهي من كور مدينة جيان، وهو يتكون من ثلاث بلاطات على أعمدة من رخام(الحميري ،1988،ص:20).

وأيضا مسجد في مدينة طرطوشة، يتكون من خمس بلاطات وله رحبة واسعة، بني سنة 345هـ على عهد الخليفة الناصر الأموي والد الخليفة المستنصر بالله(الحميري ،1988،ص:20).

ومن مساجد الأندلس، المسجد الجامع بقرطبة، قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، يعتبر هذا المسجد من "أجل مصانع الدنيا، كبر مساحة وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، اهتم به الخلفاء فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم حتى بلغ الغاية من الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف، طول مائة باع وعرضه ثمانون باعا،

ونصفه مسقف، وعدد قسي مسقفة تسعة عشر قوسا وسواري مسقفة بين أعمدة وسواري قببه صغارا وكبارا مع سواري القبلة الكبرى وما يليها وما يليها ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد، وعدد خدم المسجد ستون رجلا وعليهم قائم ينظر في أمورهم"(الحميري ،1988،ص:153-156).

وفي هذا المسجد، كانت تعقد مجالس للوعظ من طرف العلماء، من بينهم أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ (ت 432هـ/ 1030 م)، سكن قرطبة، روي عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، سمع من أبي أيوب بن بطال كتاب "الدليل إلى طاعة الجليل"، وكتاب "أدب الهموم"، رحل إلى المشرق ولقي أبا الحسن القابسي بالقيروان وأحمد بن نصر الداودي وغيره، كان أديبا شاعرا، كان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يعظ الناس فيه في غاية من الحفل، وكان له مجلس بالمسجد الأعظم بقرطبة يعظ الناس فيه في غاية من الحفل، وكان الناس يبكرون إليه ويزدحمون عليه(ابن بشكوال ،1989،ص:89).

ومن أئمة هذا المسجد كذلك أحمد بن علي بن أحمد الباغاني المقري (ت 401 هـ/ 1013 م)، قدم الأندلس سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وقدم للإقراء بهذا المسجد، واستأدبه المنصور بن أبي عامر لابنه، ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة مكان أبي عمر الإشبيلي الفقيه على يد قاضيه ابن وافد، كان من أهل الحفظ والذكاء والفهم وكان بحرا من بحور العلم، لا نظير له في علوم القرآن(ابن بشكوال ،،ج2،1989،ص:142).

وممن تولي الخطبة والصلاة في المسجد الجامع بقرطبة، إبراهيم بن محمد الحضرمي المعروف بابن الشرفي (ت396هـ/ 1005 م)، روى عن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم، وأحمد بن المطرف وأبي عيسى الليثي وغيرهم، كان معتنيا بالعلم، مقدما في الفهم، من أهل الرواية والدراية(ابن بشكوال ،،ج2،1989،ص:147).

ومن المقرئين بالقرب من هذا المسجد الجامع، إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري (ت395هـ/ 1004 م)، بالإضافة إلى نقط المصاحف وتعليم المبتدئين(ابن بشكوال ،،ج1989،2،ص:147).

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد الإسكندراني الذي شغل منصب الذي شغل منصب الإمام به أحمد بن محمد بن خالد الكلاعي المقرئ (ت 432هـ/ 1044م)، الذي كان عالما بالقراءات، معتنيا بتقييد العلم وجمعه ونقله(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 89).

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد بنفسج، أمه المحدث أحمد بن ثابت الواسطي (ت437هـ/ 1049 م) مدة ستين سنة، حدث عنه أبو عبد الله بن عتاب، وهو روى عن أبي محمد الأصيلي(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص:91).

ومن مساجد قرطبة بالأندلس أيضا، مسجد غزلان السيدة، الذي يقع داخل المدينة بقرطبة(ابن بشكوال ،،ج1989،2،ص:111-112).، بالإضافة إلى مسجد اليتيم(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 260-261).، ومسجد الزجاجين(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 273).، ومسجد متعة (ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 281).، ومسجد بن أبي عيسى القاضي،(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 295). ومسجد الزقاق الكبير(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 295).، ومسجد سعيد بن عامر وكان إمامه سليمان بن بيطير بن سلمان بن خالد الكلبي (ت 404هـ/ 1016 م)(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 312-313)..

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد النخيل ومسجد منظر(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 314،336). ومسجد أبي علاقة(ابن بشكوال ،،ج1989،1،ص: 337).

ومن مساجد الأندلس أيضا، مسجد مالقة الذي يقع بالمدينة، والذي بناه الفقيه والمحدث معاوية بن صالح الحمصي، وهو يتكون من خمس بلاطات ولها خمسة أبواب(الحميري ،1988،ص:178).

ومن مساجد الأندلس أيضا، جامع جيان، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم على يد ميسرة عامل جيان، وهو يتكون من خمس بلاطات على أعمدة من رخام، وله صحن كبير حوله سقائف، ويصعد إليه على درج من جميع نواحيه(الحميري ،1988،ص:71).

ومسجد بجزيرة أم حكيم، يقع في وسط المدينة، ويمتاز بحسن البناء، فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف(الحميري ،1988،ص:73).

ومن مساجد الأندلس أيضا، نذكر مسجد بجانة، بناه عمر بن أسود، وفيه قبو على قبة فيها إحدى عشر حنية، منضربة على أربعة عشر عمودا، نقش على أعاليه بنقوش عجيبة، وبغربي القبو ثلاث بلاطات أوسع من الشرقية على عمد صخر، وفي الصحن بئر عذبة(الحميري ،1988،ص:38).

ومن مساجد الأندلس أيضا، نذكر المسجد الجامع باشبيلية، تولى منصب الإمامة به، الفقيه سعيد بن يحيى بن محمد بن سلمة التنوخي المقرئ (ت 426هـ/ 1038 م)، روى عن ابن أبي زمنين وأبي أيوب الروح وغيرهما، كان من خيار المسلمين وعلمائهم وفضلائهم(ابن بشكوال ،ج1،1989،ص: 342).

كما كانت تعقد بعض الحلقات لبعض العلماء في المساجد بالمغرب الإسلامي والأندلس، منها الحلقة التي كانت في الجامع في طليطلة، لأحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبي (ت 443هـ/ 1055 م)، روى عن الخشني محمد بن إبراهيم، وعبد الله بن ذنين وغيرهما، كان حافظا للفقه، شاعرا مطبوعا، بصيرا بالفقه وعلله(ابن بشكوال ،ج1،1989،ص: 94).

ومن بين مساجد الأندلس، مسجد مسرور بقرطبة، سكن فيه المحدث أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز (ت 395 هـ/ 1004 م)، قدم قرطبة صغيرا، روى بها عن قاسم بن أصبغ، وأبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري وغيرهم، وكان إسماعه في مسجد سريج(ابن بشكوال ،،ج1989،2،ص: 140).

ومن مساجد الأندلس مسجد مكرم، أحد مساجد قرطبة، ذكر ابن بشكوال في ترجمة أحمد بن زكريا المصري المعروف بابن فارة زرنيخ، الذي قدم قرطبة وسكن بغدير ثعلبة، وكانت صلاته بهذا المسجد(ابن بشكوال ،،ج1989،2،ص: 141).

ويبدوا بأنه كانت مساجد أخرى كبرى بقرطبة، لم تذكرها المصادر التاريخية، ونكتفي بشهادة الجغرافي الحميري بقوله "...وعدد المساجد بقرطبة على ما أحصي وضُبط أربعمائة وإحدى وتسعون مسجدا"(الحميري ،1988،ص:157).

كما يشير المؤرخ المقري التلمساني إلى إنعدام المدارس التي تستقطب طلاب العلم في الأندلس وهو ما يعزز التخمين بانحصار التعليم في المساجد بالدرجة الأولى ،فيقول: "...ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرؤون لأن يعلموا، لا لأن يأخذوا جاريا"(المقري ،1968،ص:220).

ويرجع الباحث المغربي محمد المنوني إلى أن بلاد المغرب قد عرفت ظهور المدارس في زمن الموحدين ،وهذا لكونهم –الموحدين - أسسوا المدارس بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش ،وهي بدورها أنتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبة وإشبيلية وغرناطة(المنوني محمد،1989،ص:16، ،1988،ص:38).

وأما عن مساجد المغرب الإسلامي، وتحديدا إفريقية، فجامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع الفهري (ت 63هـ/840م)(لقبال موسى،1985، ص:7). سنة ثلاث وخمسين للهجرة، ثم بناه مرة أخرى زيادة الله بن إبراهيم بالصخر والآجر والرخام بعد أن هدمه وبنى محرابه بالرخام وتم بنيانه سنة إثنتين وعشرين ومائتين(ابن الابار ، ،1988،ص:164).

ومن مساجد المغرب الإسلامي أيضا ، جامع القرويين بفاس ،الذي بنته فاطمة الفهرية أم البنين (ت 255هـ)من أحفاد عقبة بن نافع الفهري ،وجامع عدوة الأندلسيين الذي بنته أختها مريم الفهرية (ابن ناجي ،1991، ص:45-46)،وجامع مراكش ومكناس وغيرها من جوامع كبريات مدن المغرب الإسلامي الأخرى(المنوني محمد،ص:25).

5-خاتمة :

و ختاما لهذا البحث ،يتبين لنا أن كُل من المساجد والكتاتيب والمكتبات قد لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية ببلاد الغرب الإسلامي قبل وبعد القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، حيث بلغ هذا التنشيط العلمي درجة عالية من الرقي الحضاري والثقافي، مما جعل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس قِبلة للشباب المتعطش لنيل العلم والمعرفة في شتى التخصصات الإسلامية، وهو ما نتج عنه أيضا بروز الحواضر العلمية ببلاد الغرب الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

-الجزنائي علي ،(1991)، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**،ط02،،الرباط ،المملكة المغربية .

- لقبال موسى،(1985)، **عقبة بن نافع الفهري** ،د. ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر.

- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله،(1988)، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**،ط02، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- ابن كثير أبي الفداء اسماعيل،(2009)، **تفسير القرآن الكريم**، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر.

- بيدرسنيوهنس(1989)،**الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة** ،دون طبعة ، ،دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق، سوريا.

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ،(2000)،**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ،د.ت.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- ابن الخطيب لسان الدين،(1965)،**تاريخ إسبانيا الإسلامية**، أو كتاب :أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ،ط2،بيروت ،لبنان .

- ابن عذاري المراكشي ،(1980)،**البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،ط02،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان .

- الخشني محمد بن حارث ،(1989)،**قضاة قرطبة**،ط02،دار الكتاب المصري القاهرة ،دار الكتاب اللبناني بيروت .

- عبدالحليم عويس (1989)،**ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**،ط02،الزهراء للاعلام العربي ،مصر.

- ابن الآبار أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي(1985)،**كتاب الحلة السيراء**،ط02،دار المعارف ،القاهرة ،مصر.

- صاعد الأندلسي(1985)، **طبقات الأمم** ،ط01،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان .

- زيغريد هونكة،(1993)، **شمس العرب تسطع على الغرب** ،ط 08،دار الجيل دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،لبنان.

-محمد إبراهيم زغروت(2006)، **مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا** ،مجلة البحوث الإسلامية ،العدد17هـ،ص:338-339.

- ابن حزم (1962)،جمهرة أنساب العرب ،ط05،دار المعارف ،مصر.

- حامد الشافعي دياب،(1998)،**الكتب والمكتبات في الأندلس** ،ط01،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد الواحد بن علي المراكشي ،(2006)،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ط01،المكتبة العصرية ،بيروت ،لبنان .

- شبشوب أحمد ،(1996)،**منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسالة مراتب العلوم لابن حزم** ،ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ،ط01،الرياض،ص:9.

- محمد شريف سيدي موسى(2011)، **مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الإجتماعية والفكرية**،، دار كرم الله للنشر والتوزيع، تلمسان.

- إسماعيل سامعي ،(2012)،**قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي** ،د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

- محمد بن سحنون،(1981)، **كتاب آداب المعلمين**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- منير رويس،(1988)،**الحياة الثقافية والعلمية بإفريقية من خلال كتاب رياض النفوس** جامعة تونس.